

تربية

دينير مشنتاف

denise.mechantaf@gmail.com

هدى رزق: السمّ الذي لا يقتل المرأة يزيد قوتها
أعباء المرحلة حملتها بتحوّلها إلى أمّ لزوجها

أعباء الازمتين المعيشية والصحية بارتداداتهما القاسية على العائلات اللبنانية تحملتها المرأة بمفردها بعد شعور الرجل بأنه في سجن في الحجر المنزلي، لتثبت بتجربتها الجديدة التي انتقلت فيها من التبذير الى التدبير، انها هي من يحمي الاسرة من العوز والوباء. بهذه التجربة استعادت المرأة اشرافها الاقرب الى العائلة لتكون مدبرة المنزل والمعلمة لاولادها

السم الذي لا يقتلني يزيدني قوة. كلام ينطبق على المرأة اللبنانية من خلال اثبات ذاتها، بالتجربة، انها كائن قوي.

بشكل عام، حين تكون المرأة اسرة ستختلف نظرتها الى نفسها باعتبار انها لم تعد فردا. في فترة الحجر المنزلي عاشت المرأة اللبنانية تجربة مختلفة في مضمونها مع الرجل الذي اعتبر العزلة الاجتماعية سجنا، لتتحول الى ام له بعد شعوره بأنه كسائر اولاده، في حاجة الى من يهتم به.

السراء والضراء اختبار قاس تواجهه الاسر اللبنانية منذ اكثر من عام تقريبا، وكان المرأة والرجل بهذا الاعتبار عليهما التأكيد مجددا على ما اعلناه يوم زواجهما. لكن على الرغم من هذه الازمة، يتنصل بعض الرجال من تحمل اعباء المرحلة مع الزوجة.

عن هذه القضية نتحدث الاختصاصية في علم الاجتماع السياسي الدكتورة هدى رزق في لقاء مع "الامن العام"، لتضيء على جوانب اوصلت المجتمع اللبناني الى مواجهة ازمة بنوية هي ليست اقتصادية فقط، بل اخلاقية ايضا.

■ اعباء هذه المرحلة القاسية بكل ازمتها المعيشية والصحية وبارتداداتها على العائلات اللبنانية منذ اكثر من عام تقريبا، تحملها المرأة والام والعاملة بمفردها من خلال تولى تعليم اولادها من بعد ومزاولة مهنتها من بعد ايضا، مع كل الالتزامات العائلية الاخرى، الا تعتبر هذه المرحلة محطمة للمرأة على الصعيد الشخصي؟

□ السم الذي لا يقتلني يزيدني قوة. هذا الكلام ينطبق على المرأة اللبنانية حاليا في مواجهتها ازمة مزدوجة، معيشية ووبائية، عبر حرصها على حماية عائلتها غذائيا وصحيا،

وبتحولها الى مدبرة منزل ومعلمة لاولادها في البيت من خلال متابعة توجيهات المعلمة عبر الانترنت لمواكبة الاسلوب التعليمي لاطفالها الى حد التعلم معهم من جديد، اضافة الى تسلمها الاعمال المنزلية باكملها بعد استغناء اكثر العائلات اللبنانية عن العائلات الاجنبيات كمدبرات منزل. ما يواجهه المجتمع اللبناني منذ اكثر من عام تقريبا هو ازمة بنوية، ليست اقتصادية فقط، بل اخلاقية ايضا الى حد كبير، وذلك من الناحية السلوكية لدى شريحة كبيرة من اللبنانيين في فترة الاعياد مطلع العام الجاري، الامر الذي فرض اجراءات صارمة على العائلات بالاغلاق العام والحجر المنزلي لفترات متواصلة وادى الى خسارة عدد كبير من الرجال والنساء اعمالهم، الا في بعض المهن التي يؤمنها العمل من بعد. ما قبل هذه الازمة المزدوجة، كان لكل اسرة نظامها الخاص بتأمين الرفاهية لافرادها، خصوصا الاطفال، على كل الصعد تقريبا، في التعليم والطبابة والغذاء والحياة بشكل عام. منذ اواخر عام 2019 تبدل هذا الواقع كليا. بداية، على الصعيد الاقتصادي ما قبل انتشار الازمة الوبائية، الامر الذي ادى الى تضعف كبير في الاسرة اللبنانية، خصوصا بعد خسارة الاب والام اعمالهما. كل هذه الازمة القت بثقلها على المرأة بمفردها لانها هي مدبرة المنزل في نظر زوجها، وبالتالي عليها تدبير الامور. هذا الواقع السيء الذي حاصر كل اللبنانيين الزم المرأة - الام والعاملة - تحمل مسؤولية صحة العائلة بحمايتها من العوز ومن الوباء وهو الوضع الذي لم يتأقلم معه الاولاد، فهناك متطلبات غذائية لم تعد الاسر اللبنانية قادرة على تأمينها.

■ ما سبب تنصل الرجل من تحمل هذه المسؤوليات. ما دوره اذا، هل تحوّل مع الحجر المنزلي الى رقيب في البيت كما تبين اخيرا؟ □ في الواقع، انغمس بعض الرجال في هذه المرحلة في الاعمال المنزلية وقد اعدوا بذلك صورة الرجل الريفي الذي كان حريصا على الاهتمام بآسرتة، من خلال التفاصيل الصغيرة المتعلقة باولاده. في المقابل، انصرف الرجال الذين اعتبروا الحجر المنزلي سجنا لهم عن تحمل المسؤوليات، بالانكباب على وسائل التواصل الاجتماعي للترفيه عن انفسهم. وقد شعر البعض منهم بأنهم كسائر الاولاد، في حاجة الى من يهتم بهم لتتحول الزوجة الى ام لهم ايضا. هذه الاتكالية لا تعود اسبابها الى التربية فقط ولا الى المجتمع الذي اعطاه الحق في ان يطلب ما يريد، يأمر فيطاع. المسألة هنا اخلاقية.

■ كيف نفسرها، ولماذا طغت على السلوك الاجتماعي بشكل عام في السنوات الاخيرة؟ □ في هذا الموضوع علينا العودة الى ما قبل اندلاع الحرب عام 1975 وما كان سائدا حينها، خصوصا على الصعيد التربوي، تحديدا مادة التربية المدنية التي اكتسبت اهمية لدى ابناء ذاك الجيل كسائر المواد التعليمية الاخرى. جيل ما بعد الحرب يعتبر هذه المادة سخيفة فلا يكرث لها ولا يعيرها اهتماما. منذ اندلاع الحرب حتى اليوم، فقد اللبنانيون الانضباط في سلوكهم الاجتماعي، في المدرسة وفي الاسرة، لان القوانين لا تطبق على كل الناس بما فيها المدارس التي لا تطبق قوانينها على كل تلامذتها. هذه الفوضى انعكست على سلوكيات الفرد واخلاقياته.



الاختصاصية في علم الاجتماع السياسي الدكتورة هدى رزق.

المباشر الاقرب الى العائلة، فانتقلت من التبذير الى التدبير باجتراح مأكولات صحية غير مكلفة، وبتودد اولادها اليها لتحضير حلويات يحبونها. في هذه المرحلة عاشت حقيقة ما تعهدت به يوم زفافها او عقد قرانها، ان تقبل العيش مع زوجها في السراء والضراء. تعرفت الى اولادها والى زوجها من جديد، فبعض الاسر اللبنانية عاشت تقاربا لم يحصل بين افرادها ما قبل الحجر المنزلي. صحيح، هناك من سببت له هذه المعرفة صدمة، الامر الذي ادى الى اصطدام بين الشريكين على الرغم من حرص المرأة على عدم الاصطدام بزوجة في فترة الحجر المنزلي حفاظا على الاسرة. هذه المشكلة تعود اسبابها الى الاساس الذي بني عليه الزواج. هل الامر كان متعلقا بالمال، تحديدا بثروة الزوجة ام بالقيمة المادية لراتب الزوج ام بالحب الذي جمعتهما؟ طبعاً، النتيجة هنا ستختلف.

■ لماذا على المرأة ان تضحي على حساب خصوصياتها الى حد اهمال نفسها احيانا؟ □ حين تكون المرأة اسرة، ستختلف نظرتها الى نفسها باعتبار انها لم تعد فردا. بعد انجابها طفلها الاول ستراجع انانيتها، وكلما ازداد عدد اولادها سيزداد هذا التراجع الى حد تصل فيه لتسأل نفسها: "اين انا"؟ الاسرة تأخذ الكثير من المرأة. قديماً، كانت الام تضمحل داخل اسرتها بسبب كثرة الانجاب، لهذا السبب تدنت هذه النسبة مع انشغالات المرأة بعملها وبنفسها. اثبت الواقع انها هي من يحافظ على الاسرة، ففتغاضى احيانا عن السلوك السيء لزوجها من اجل البقاء الى جانب اولادها في حال لم تكن متمكنة اقتصاديا. بقدر ما يكون الطلاق نعمة لدى البعض سنجد من جانب اخر انه قد تم على حساب احد ما وحيانا كثيرة على حساب الاولاد، لتضعف الام، في هذا الوضع، اهتمامها بهم تعويضاً عن احساسهم بغياب الاب في مناسبات عليه ان يكون حاضرا فيها. الرجل يعطي العائلة اسمه، اما المرأة فتعطي حياتها.

تجربة جديدة خاضتها
المرأة اللبنانية بالانتقال من
التبذير الى التدبير

■ كيف تستمد المرأة قوتها لمواجهة ازمت مصيرية كالتّي تعيشها حاليا العائلات اللبنانية؟ □ المرأة في ذاتها كائن قوي، لكن التربية تساهم احيانا كثيرة في اضعافها. هناك فئات اجتماعية تسعى الى عدم اعطاء المرأة الدور الذي تطمح اليه فتقمعها. لكننا نعرف، من خلال التجارب ان قوتها في ذاتها تحديدا، في تمكينها، تعليميا ونفسيا واجتماعيا واقتصاديا، حينها تصبح المرأة اكثر قوة.

■ كيف ستستعيد المرأة اللبنانية ما خسرت في هذه المرحلة؟ □ هي لم تخسر، بل عكس ذلك، ربحت بخوضها تجربة جديدة مهمة في حياتها ستخرج منها اقوى من قبل عبر اشرافها

ليس صحيحا ان الفساد هو في الادارة فقط وليس في الناس، وان المسؤول عن الفوضى في الشارع هو من يقود السيارة. ما بعد الحرب شهدنا تسربا مدرسيا كبيرا لم نعرفه في لبنان ما قبل اندلاعها. هذه سلوكيات ميليشياوية انعكست علينا كلنا كشعب على اخلاقيات المرأة والرجل معا. طبعاً، لا استطيع القول ان المرأة ملاك والرجل هو الشيطان. لكن في المقابل، يعتقد الرجل انه يمتلك قوة لا تمتلكها المرأة، وهو الامر الذي عززه الواقع الاجتماعي الذي ساهمت في تعزيزه المرأة في ذاتها. بعض النساء حين ينجبن ذكرا يشعرن بأن قيمتهن الاجتماعية علا شأنها، وبالتالي ستعتني الام بتربية ابنها بشكل مختلف عن ابنتها بتدليله وتكرمه اكثر منها. في المقابل، وبعيدا من الانحياز لدى بعض النساء في هذه المسألة، اثبتت المرأة مذ كانت هي المزارعة والفلاحة في الريف حتى وصولها الى التساوي مع الرجل اقتصاديا، وبالتالي اجتماعيا، هي المحافظة على وجود الاسرة واستمراريتها. علما ان المدنية كلفت المرأة الكثير بسبب المفهوم الخاطيء للحداثة عند الرجل بامتناعه عن مشاركتها المسؤوليات العائلية داخل المنزل على الرغم من كونها شريكة له ماديا كامرأة عاملة.